(304) ويحتمل فضلناهم بأعمالهم التي استحقوا بها الفضيلة على غيرهم. والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما توجبه الشهوة دون الحكمة، وليس كذلك الابتداء بالفضيلة، لانه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وأدى إلى حرمان الثواب للجميع. فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه إذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعوا إليه الحكمة وليس كالوجه الاول الذي انما تدعوا إليه الشهوة. وقوله: " وأيدناه بروح القدس " معناه قويناه. والروح: جبريل. والقدس ا - على قول الحسن - وقال ابن عباس: روح القدس: الاسم الذي كان يحيي به الموتى. والضمير في قوله: " من بعدهم " عائد على الرسل. وقال قتادة، والربيع: على عيسى وموسى (ع). وجاز بلفظ الجميع، لان ذكرهم قد يغني عن ذكر المتبعين لهم. كما يقال: خرج الامير فانكوا في العدو نكاية عظيمة. وقوله: " ولو شاء ا ما اقتتلوا " إخبار عن قدرته على إلجائهم على الامتناع من الاقتتال، أو أبان يمنعهم من ذاك. وهذا قول الحسن وغيره. وجملته انه أخبر انه قادر على أن يحول بينهم، وبين الاقتتال بالالجاء والاضطرار. ومثله " ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها " " ولوشاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا " فان جميع ذلك دلالة على قدرته عليهم. ولا يدل قوله " ولو شاء ا ما اقتتلوا " على أنه قد شاء اقتتالهم، لانه إذا احتمل الكلام وجهين: أحدهما - يجوز عليه والاخر لا يجوز عليه، وجب حمله على ما يجوز عليه، دون ما لا يجوز عليه، فلذلك كان تقدير الكلام ولو شاء ا امتناعهم بالالجاء ما اقتتلوا. ونظيره قول القائل ولو شاء السلطان الاعظم، لم يشرب النصارى الخمر في سلطانه ولا نكحت المجوس الامهات والبنات وليس في ذلك دليل على أنه قد شاءه وإنما كرر قوله: " ولو شاء ا ما اقتتلوا " لاختلاف المعنى: فمعنى الاول لو شاء ا ما اقتتلوا قتالهم، ويجوز أن يكون لتأكيد البينة على هذا المعنى. وقال قوم: الاول معناه لوشاء ا ما اقتل